مغامرة الغنيمة الثانية

روبرت بار

ترجمة أسماء عزب



مغامرة الغنيمة الثانية

تأليف
روبرت بار

ترجمة
أسماء عزب

مراجعة
هبة عبد العزيز غانم



مغامرة الغنيمة الثانية

روبرت بار

The Adventure of the Second Swag

Robert Barr

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: ليلى يسري

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٤٠٩ ١

صدر الكتاب الأصلي باللغة الإنجليزية عام ١٩٠٤.
صدرت هذه الترجمة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

مغامرة الغنيمة الثانية

الوقت ليلة عيد الميلاد لعام ١٩٠٤، المكان مَنزل ريفي قديم مُنعزل مَبني في القرن الماضي في عام ١٨٩٦، يقع على قمة وادٍ عميق، يكسوه السرخس الواصل طوله إلى مُستوى الخصر، ويحرسه ويُظلل عليه أشجار قديمة مُتبقية من غابةٍ من أول الزمان. لا يمكن رؤية أي سكنٍ بشري آخر من هذا المنزل الريفي. كان الطريق المُنحدِر الذي يربط طريق الملك السريع بهذه القلعة مُتعرجًا للغاية، وزلقًا لدرجة أن البارونيت المُتجهم الذي كان يمتلك هذه القلعة قد أتلف سيارته أكثر من مرةٍ محاولًا القيادة عبر المُنحنيات الخطرة. لا بدَّ أن عزلة هذا المنزل الريفي المهيب، وعمارته القاتمة قد تركتا انطباعًا سيئًا لدى أي شخصٍ عادي ينظر إليه، بالتفكير في أنه المكان المناسب لارتكاب الأفعال الشريرة، لولا حقيقة أن المكان كان يشعُّ بالضوء الكهربائي، وكان الضجيج الرتيب المُنتظم لمجمع الكهرباء، الذي يضخ السائل الرقيق في مُولِّدٍ كهربائي مُستقبِل يقع في مبنًى خارجي ناحية الشرق يُعزز الصمت ولا يقطعه.

كانت الليلة مُظلمةً ومُلبدةً بالغيوم بعد يومٍ من المطر، لكن كآبة المنظر جعلت النوافذ الرائعة ذات الزجاج المُلوَّن تبرُز مثل الغلاف اللامع للعدد الخاص بعيد الميلاد. كانت هذه إطلالة «أندرشو»؛ منزل سير آرثر كونان دويل، الواقع بين براري هيندهيد، على بُعد أربعين أو خمسين ميلًا من لندن. فهل من العجيب أنه في مكان بعيدٍ جدًّا عن الحضارة يُتجاهل القانون، ويرتجف الشرطي الوحيد الذي يجُول في المنطقة عندما يجتاز بوابات «أندرشو» الشريرة؟!

في هذا المنزل الريفي جلس رجُلان في غرفةٍ كبيرة، مفروشة بأناقة فاخرة لم يكن لأحد أن يتوقعها في منطقةٍ بعيدة جدًّا عن المؤثرات الإنسانية. كان أحدهما عملاقًا، وأضفى

جبينه العريض وذقنه القوي المحلوق ملامح الحزْم على وجهه، التي تعزَّزت أكثر بشاربٍ أسود كثيفٍ يُغطي شفته العليا. كان يتمتع بصفات الفرسان في قوامه المُستقيم والمُستقل. وقد شارك — في الواقع — في أكثر من معركةٍ شرسة، وكان عضوًا في عدة نوادٍ عسكرية. لكن كان من الواضح أن أسلافه قد استخدموا الهراوات الحربية، ونقلوا إليه بِنية هرقل. لم يكن المرء بحاجة إلى إلقاء نظرة على عدد عيد الميلاد الخاص بمجلة «ستراند»، الذي كان يحمله في يده، ولا قراءة الاسم المطبوع هناك بأحرُفٍ كبيرة، ليعرف أنه كان وجهًا لوجهٍ مع سير آرثر كونان دويل.

كان ضيفه — وهو رجل أكبر منه سنًّا، لكنه لا يزال في مقتبل العمر، ولحيته يَشوبها اللون الرمادي — لا يمتلك هيئةَ رجل حربٍ مثل الروائي الشهير، وينتمي — كما هو واضح — إلى القسم المدني وليس العسكري من الحياة. كان يمتلك مظهر رجل أعمالٍ ناجح، داهية، دمث الأخلاق، مُسالم، وهاتان الشخصيتان المُتناقضتان بشدة هما نوعا الرجال اللذان تُدين لهما إنجلترا بعظمتها. ومن المُحتمَل جدًّا أن يشعر قارئ عدد عيد الميلاد بخيبة أملٍ عندما يجد — كما يفترض — مجرد صديقين قديمين يجلسان بشكلٍ ودِّي في منزلٍ ريفي بعد العشاء. ويبدو أنه لا يُوجَد أي عنصر من عناصر التراجيديا في مثل هذا الموقف، وفقًا لذوقه الضجر. فهذان الرجلان يبدوان على درجةٍ كافية من الراحة والاحترام. وصحيح أن هناك ويسكي وصودا أمامهما، وعلبة السيجار مفتوحة، ومع ذلك هناك احتمالات كامنة للغضب في الشخصيات الأكثر هدوءًا، التي لا يُكشَف عنها إلا لِكتَّاب القصص في صحافتنا الرخيصة. دعِ القارئ ينتظر — إذن — حتى يرى قدرة هذين الرجلين في التحكُّم بذاتَيْهما تحت تأثير إغراءٍ كبير، ثم دعه يقول ما إذا كانت نزاهة سير جورج نيونز تأتي سالمةً من المِحَن.

سأل الروائي، بصوتٍ يشوبه القلق: «هل أحضرت الغنيمة يا سير جورج؟»

أجاب الناشر العظيم: «نعم، ولكن قبل الشروع في العد، أليس من الحكمة إعطاء الأوامر التي تضمن عدم إزعاجنا؟»

أجاب دويل ضاغطًا على زرٍّ كهربائي: «أنت مُحق.»

وعندما ظهر الخادم قال: «إذا سأل عني أحد فأنا لستُ في المنزل. بغض النظر عمَّن يأتي، أو العُذر الذي يُقدمه، يجب ألا تسمح لأي شخصٍ بالاقتراب من هذه الغرفة.»

عندما خرج الخادم، اتخذ دويل مزيدًا من الاحتياطات مُتمثلةً في قفل أحد المزاليج الضخمة التي كانت تُزين الباب البلوطي الضخم المُرصَّع بمقابض حديدية. وأخرج

سير جورج من الجيب الخلفي لمعطف الحفلات الرسمية الخاص به حقيبتَين من القماش، وفك الأربطة وأفرغ الذهب الأحمر الداكن على الطاولة الملساء.

وقال: «أعتقد أنك ستجد المبلغ صحيحًا؛ ستة آلاف جنيه إجمالًا.»

سحب الكاتب كُرسيه الثقيل بالقُرب من الطاولة، وبدأ في عدِّ العملات المعدِنية اثنتين اثنتين، ساحبًا كل زوجٍ من الكومة بأصبعيه المفرودتَين بطريقة شخصٍ معتاد على التعامُل مع كنزٍ عظيم. ساد الصمت لبعض الوقت، لم يقطعه إلا خشخشة الذهب، وفجأةً اخترق صوت عالٍ من الخارج، حتى البلوط السميك للباب الضخم. وبدا أنَّ الصرخة الحادة تُثير ذكرى مُعينة في ذهن سير جورج نيونز؛ فقد أمسك بذراعي كُرسيه بعصبية، وهو جالس في وضعٍ مُستقيم، وتمتم:

«هل يمكن أن يكون هو، من بين جميع الأشخاص، في هذا الوقت، من بين كل الأوقات؟»

نظر دويل وعلى وجهه تعبير يدلُّ على الانزعاج، وتمتم، حتى لا يُخطئ في العد: «مائة وعشرة، مائة وعشرة، مائة وعشرة.»

صاح الصوت الرنان: «ليس في البيت؟ هراء! الجميع في المنزل عشية عيد الميلاد!»

سمع الخادم يرد: «لا يبدو أنك كذلك.»

«أنا؟ أوه، ليس لدي منزل، مجرد شقة في شارع بيكر. يجب أن أرى سيدك، وفي الحال.»

«لقد غادر السيد بسيارته قبل نصف ساعة لحضور حفل المقاطعة المقام الليلة في فندق رويال هتس على بُعد سبعة أميال.» أجاب الخادم بهذا التمكُّن السلِس من التخيُّل الذي يأتي دون وعي للأشخاص ذوي القدرات المُتواضعة الذين يعيشون في منزلٍ مُكرَّس لإنتاج الفن التخيُّلي.

أجاب الصوت الحاد: «هراء، أقول مُجددًا. صحيح أن آثار السيارة تظهر على الأرض أمام بابك، ولكن إذا لاحظتَ علامات الإطار المُضاد للثقب، فسترى أن السيارة تعود ولا تُغادر. فقد ذهبت إلى المحطة قبل المطر الأخير لإحضار أحد الزائرين، ومنذ وصولها لم تسقط الأمطار. وتُظهر البذلة الواقية الملطَّخة بالطين في القاعة أنها الرداء الذي كان يلبسه الزائر. ويُشير رسم شعار النبالة عليها لمقصٍّ فوق كتابٍ موضوع على آلة طباعة، إلى أن مُرتديها هو مُحرِّر في المقام الأول، وناشر في المقام الثاني، ويملك مطبعةً في المقام الثالث. والبارونيت الوحيد في إنجلترا الذي تتوافق مهنته مع شعار النبالة هذا هو سير جورج نيونز.»

قال الخادم الذي كان يحمل في يده نسخةً من صحيفة «أنسرز»: «نسيت سير ألفريد هارمسورث.»

إذا اندهش الزائر المُلح من هذا الرد غير المتوقع، فإن أسلوبه لم يُظهر أي أثرٍ للإحراج، واستكمل حديثه بلا خجل:

«مع بدء المطر الأخير في الساعة السادسة إلا عشر دقائق، كان سير جورج قد وصل إلى محطة هاسليمير على متن قطار ٦:١٩ القادم من واترلو. لقد تناول العشاء، وفي هذه اللحظة يجلس بكل ارتياحٍ مع سير آرثر كونان دويل، بلا شك، في الغرفة الأمامية التي أراها تشعُّ ضوءًا. الآن إذا تفضلت بأخذ بطاقتي ...»

أصرَّ الخادم الحائر: «لكنني أقول لك إن السيد خرج بسيارته من أجل حفل المقاطعة في رويال ...»

«أوه، أعلم، أعلم. هناك أيضًا بذلته الواقية، المَطلية حديثًا بالرصاص الأسود، وشعارها آلة كاتبة رابضة على سيارة واقفة على عجلتيها الخلفيتين.»

صاح سير جورج، وعيناه تلمعان برغبةٍ شريرة: «يا إلهي! لديك مادة كافية هناك، يا دويل، لقصة في عددنا في يناير. ما رأيك؟»

قطَّب الروائي ما بين حاجبيه. وأجاب بصرامة:

«رأيي أن هذا الرجل كان يُرسِل لي رسائل تهديد. ولقد سئمتُ من تهديداته.»

قال نيونز، وهو يتنهَّد بخيبة أملٍ مُستلقيًا على كرسيه: «حسنًا، فلنغلق الباب بثلاثة مزاليج.»

سأل دويل بشراسة، وهو يقف على قدميه: «هل تحسبني رجلًا يهرُب عندما يظهر عدوه؟ لا، سأفتح المزلاج. وسأُقابل صاحب القوى الغامضة في الصالة!»

اقترح سير جورج — بابتسامة — راغبًا في تسوية النزاع بدبلوماسية: «من الأفضل أن تدعوه إلى الصالون، حيث الجو دافئ.»

وضع الروائي — دون رد — نسخةً من صحيفة «وستمنستر جازيت» الخاصة بذلك المساء فوق كومة الذهب، وسار نحو الباب، وفتحه، وقال ببرود:

«أدخل الرجل المحترم من فضلك.»

دخل إليهما رجل طويل القامة، مُتزن، هادئ، ذو وجهٍ حليق، وعينان كعينَي الصقر، وأنف فضولي.

وعلى الرغم من أن الزيارة كانت مُحرجةً للغاية في ذلك المنعطف بالذات، إلا أن لياقة الروائي الطبيعية منعته من التعبير عن استيائه من تطفُّل الزائر، وشرع في تقديم الضيف المدعو إلى الضيف غير المدعو كما لو كان كلٌّ منهما مَوضع ترحيب على حدٍّ سواء.

«سيد شيرلوك هولمز، اسمح لي أن أقدم لك سير جورج ...»

قال الوافد الجديد بنبرةٍ مُستفزة: «غير ضروري تمامًا؛ لأنني أدرك على الفور أن الشخص الذي يرتدي صدريةً خضراء يجب أن يكون ليبراليًّا مؤمنًا بآراء الحُكم الذاتي القوية، أو مُحررًا لعدة منشورات مُغلفة بدرجات اللون الأخضر الزمردي. وتُشير ربطة العنق المنقوشة بنبات النفل، بالإضافة إلى الصدرية، إلى أن الرجل المحترم أمامي هو كلاهما، ولذا فإنني أعتبر أنه من المُسلَّم به أن هذا هو سير جورج نيونز. ما أخبار المبيعات يا سير جورج؟»

أجاب المُحرِّر: «تزداد بسرعة.»

أكَّد الدخيل بلباقة: «أنا سعيد بذلك، ويُمكنني أن أؤكد لك أن درجة الحرارة في الخارج تنخفض بنفس السرعة.»

بسط المُحقق العظيم يديه أمام النيران الكهربائية المتوهجة وفركهما بقوة: «أرى من خلال تلك الصحيفة المسائية مبلغ ستة آلاف جنيه ذهب.»

قاطعه دويل ببعض نفاد صبر: «لم ترَه من خلال الصحيفة؛ رأيتَه في الصحيفة. يا إلهي لقد ذُكر هذا الأمر في عددٍ كافٍ من الصحف.»

قال شيرلوك هولمز بهدوء: «كما كنتُ على وشك التعليق، أنا مندهش من أن رجلًا وقته ثمين للغاية يُضيعه في عدِّ النقود. أنت تُدرك بالتأكيد أن الجنيه الذهبي يزن ١٢٣,٤٤ حبة؛ لذلك إذا كنتُ مكانك، كان يجب أن أحضر ميزان المطبخ، وأفرغ العملات المعدِنية، وأعرف الكمية بقلم رصاص. لقد أحضرتَ الذهب في حقيبتَين من القماش، أليس كذلك سير جورج؟»

سأل الناشر المذهول: «يا للهول، كيف تعرف ذلك؟»

لوَّح شيرلوك هولمز — بابتسامةٍ رائعة — بيده تلقائيًّا نحو الحقيبتين اللتين كانتا لا تزالان على الطاولة المصقولة.

قال دويل بضجر، وهو يجلس على أول كرسي أمامه: «أوه، لقد سئمتُ من هذا النوع من الأمور. ألا يمكنك أن تكون صادقًا، حتى في ليلة عيد الميلاد؟ أنت تعرف أنَّ العرَّافين في الماضي لم يَخدَع بعضهم بعضًا.»

قال شيرلوك هولمز: «هذا صحيح. الحقيقة هي أنني تتبَّعتُ سير جورج نيونز إلى بنك العاصمة والمقاطعات بعد ظهر اليوم، حيث طلب ستة آلاف جنيه ذهب، ولكن عندما علِم أن هذا سيزن ستةً وتسعين رطلًا وسبع أوقيات بالوزن الأفواردوبوي، وأنه حتى بالوزن التروِيسي لن يكون المبلغ أخف؛ أخذ حقيبتين صغيرتَين من الذهب والباقي أوراقًا نقدية من البنك المركزي البريطاني. لقد جئتُ من لندن على نفس القطار معه، لكنه انطلق بالسيارة قبل أن أتمكن من تعريفه بنفسي، ولذا كان علي أن أحضر إلى هنا. وزاد من تأخيري أني أخذت منعطفًا خاطئًا على القمة ووجدت نفسي في تلك البقعة الساحرة في الجوار، حيث قُتل بحَّار على يدِ اثنين من البلطجية منذ قرنٍ أو نحو ذلك.»

كانت هناك نبرة تحذير في صوت دويل عندما قال: «ألم تُلقِّنك تلك الواقعة أي درس؟ ألم تدرك أنك في منطقة خطرة؟»

أكمل هولمز، وهو يرفع حاجبيه قليلًا، بينما كانت نفس الابتسامة اللطيفة تعلو شفتيه الرفيعتين: «ومن المُرجَّح أن ألتقيَ باثنين من البلطجية صدفة؟ لا، بل شجعني تذكُّر الواقعة. فالرجل الذي قُتل هو من كان يحمل مالًا. وأنا لم أُحضر معي أي عملةٍ معدِنية، على الرغم من توقُّعي أني سأحمل الكثير منها وأنا مغادر.»

«هل تمانع في إخبارنا، دون مزيدٍ من المراوغة في الكلام، ما الذي أتى بك إلى هنا في وقت متأخر جدًّا من الليل؟»

تنهَّد شيرلوك هولمز وبحزنٍ هزَّ رأسه ببطءٍ شديد: «بعد كل الدروس التي أعطيتُها لك يا دويل، هل من المُمكن ألا تتمكن حتى من استنتاج شيءٍ بهذه البساطة؟ لماذا أنا هنا؟ لأن سير جورج ارتكب خطأً بشأن هاتين الحقيبتَين. لقد كان مُحقًّا تمامًا في اصطحاب إحداهما إلى «أندرشو»، لكن كان يجب عليه ترك الأخرى في ٢٢١ب، شارع بيكر. وأطلق على هذه الرحلة الصغيرة «مغامرة الغنيمة الثانية». فها هي الغنيمة الثانية على الطاولة. لقد تلقَّيتُ أول غنيمة منذ فترةٍ طويلة، ولم أحصل إلا على بعض كلمات الإطراء المعسولة في القصص التي كتبتَها. الآن، يُقال حقًّا إن الكلام المعسول لا يُغير الواقع السيئ، وفي هذا الموقف، فإنها حتى لا تصُد الغضب. وفيما يتعلق بالغنيمة الثانية، فقد جئت للمطالبة بنصفها.»

قال دويل، الذي كان غاضبًا بشكلٍ واضح من استخفاف الطرف الآخر بقدراته: «أنا لستُ سيئًا في الاستنتاج كما تتخيَّل. أدركتُ جيدًا — عندما دخلت — ماهية مهمتك.

واستنتجتُ أيضًا أنه لو رأيت سير جورج يسحب الذهب من البنك، فقد تتبَّعتَه أيضًا إلى محطة واترلو.»

«أنت مُحق تمامًا.»

«وعندما اشترى تذكرته لهاسليمير، فقد فعلتَ الشيء ذاته.»

«صحيح.»

«وعندما وصلتَ إلى هاسليمير، أرسلتَ برقيةً إلى صديقك؛ الدكتور واطسون، تُخبره بمكان وجودك.»

«أنت مخطئ هنا؛ لقد ركضتُ خلف السيارة.»

«بالتأكيد أرسلتَ برقيةً من مكانٍ ما، إلى شخصٍ ما، أو على الأقل تركت رسالةً قصيرةً في صندوق البريد. فهناك علامات — لا أحتاج إلى ذكرها — تُشير بشكلٍ لا رجوع فيه لهذا الاستنتاج.»

لم يفعل الرجل المحكوم عليه بالهلاك، الذي دمَّره خُيلاؤه، شيئًا سوى الابتسام بأسلوبه المتعالي، دون أن يلاحظ النظرة المتلهفة التي انتظر بها دويل إجابته.

«خطأ تمامًا. لم أكتب أي برقيةٍ ولم أبعث أي رسالة منذ أن غادرتُ لندن.»

صاح دويل: «آه، لا. أرى أين اختلط عليَّ الأمر. لقد استفسرتَ فقط عن الطريق إلى منزلي.»

«لم أكن بحاجةٍ إلى عمل أي استفسارات. لقد اتبعت الضوء الخلفي للسيارة جزءًا من الطريق حتى أعلى التل، وعندما اختفى، استدرتُ إلى اليمين بدلًا من اليسار، حيث لم يكن هناك أحد في مثل هذه الليلة يمكنني الاستفسار منه.»

قال دويل بصوتٍ خشن بلهجةٍ ارتعدت لها فرائص ضيفه المدعو، ولكنها لم تنقل أيَّ خوفٍ من المصير للضيف المتأخر الواثق من نفسه: «استنتاجاتي — إذن — ليست ذات صلة.»

قال هولمز بثقةٍ بالنفس مُستفزة: «بالطبع كانت كذلك.»

«هل أنا مخطئ أيضًا في استنتاج أنه لم يكن هناك ما تأكله منذ مغادرتك لندن؟»

«لا، أنت مُحق تمامًا.»

«حسنًا، هل من الممكن أن تُسديَ لي معروفًا وتضغط على الزر الكهربائي.»

فعل هولمز ذلك بحماسٍ شديد، ولكن على الرغم من أن الثلاثي انتظر بضع دقائق في صمت، لم يكن هناك أي رد.

قال دويل: «أستنتج من ذلك أن الخدَم قد ناموا. بعد أن أُلبِّي جميع مطالبك فيما يتعلق باشتهائك للطعام والذهب؛ سأُعيدك في سيارتي، إلا إذا كنتَ تفضل بقاء الليلة هنا.»

قال شيرلوك هولمز: «أنت لطيف للغاية.»

أجاب دويل: «لا، على الإطلاق. فقط خذ هذا الكرسي، واسحبه نحو الطاولة وسنُقسِّم الغنيمة الثانية.»

الكرسي المشار إليه يختلف عن جميع الكراسي الأخرى في الغرفة. كان ذا ظهر مُستقيم، وذراعاه المصنوعتان من البلوط مُغطَّاتَين بطبقتين على ما يبدو من الفضة الألمانية. عندما أمسكه هولمز من ذراعيه لسحبه للأمام، شهق شهقةً عالية، وسقط على الأرض يرتعش. قفز سير جورج نيونز واقفًا وهو يصرخ. وبقي سير آرثر كونان دويل جالسًا، تعلو شفتيه ابتسامةٌ ملائكية من الرضا اللامتناهي.

صاح سير جورج: «هل فقد وعيه؟»

«لا، لقد صُعق بالكهرباء فقط. جهاز بسيط علَّمني إيَّاه شريف نيويورك عندما كنت هناك مؤخرًا.»

«يا إلهي! ألا يمكن إنعاشه؟»

قال دويل بطريقة شخصٍ أُزيح حمل ثقيل عن كاهليه: «عزيزي نيونز، قد يسقط رجل في هوة أسفل شلال رايشنباخ وينجو ليُسجل مغامراته في وقتٍ لاحق، ولكن عندما يسري في الجسم البشري ألفا فولتٍ، فإن صاحب هذا الجسم يموت.»

سأل سير جورج، بصوتٍ خافت يشوبه الخوف: «أنت لا تقصد أن تقول إنك قتلته؟»

«حسنًا، المصطلح الذي تستخدمه قاسٍ، لكنه لا يزال يلخص الموقف بدقة. وللتحدُّث بصراحة، يا سير جورج، لا أعتقد أنهم يستطيعون اتِّهامنا بأي شيءٍ أكثر من القتل غير العمد. وكما ترى، هذا اختراع صغير لاستقبال اللصوص. كل ليلة قبل أن يذهب الخدم إلى النوم، يقومون بتوصيل هذا الكرسي بالتيار الكهربائي. لهذا طلبتُ من هولمز الضغط على الزر. وأضع طاولةً صغيرة بجانب الكرسي، وأضع عليها زجاجةً من النبيذ، والويسكي، والصودا والسيجار. ومن ثَم، إذا دخل أي لص، فإنه يجلس دائمًا على الكرسي ليُمتِّع نفسه. وكما ترى، قطعة الأثاث هذه طريقة فعالة للحد من الجريمة. فعدد اللصوص الذين سلَّمتُهم إلى الأبرشية ليدفنوهم سيُثبت أن القضاء على هولمز لم يكن متعمدًا من قِبَلي. وهذا الحادث — على وجه التحديد — ليس جريمة قتل عمد، بل قتل غير مُتعمَّد. ولن

نحصل على أكثر من أربعة عشر عامًا لكل منَّا، وربما يتمُّ تقليص ذلك الحكم إلى سبعة أعوام؛ على أساس أننا قُمنا بعملٍ ما من أجل المنفعة العامة.»

صاح سير جورج: «لكلٍّ منَّا! لكن ما علاقتي بهذا الأمر؟»

«كل شيءٍ يا سيدي العزيز، كل شيء. عندما تحدَّث ذلك الأحمق الثرثار، رأيتُ في عينك لمعانًا يُنذِر برغبتك في الاحتفاظ بهذه القصة. وفي الواقع، أعتقد أنك ذكرت عدد يناير. لذلك أنت متواطئ في الجريمة. وكان عليَّ ببساطة أن أقتُل البائس المسكين.»

غاص سير جورج في مقعده وهو يكاد لا يستطيع التنفُّس من الرعب. فالناشرون هم رجال رحيمون نادرًا ما يرتكبون جرائم، بينما المؤلفون هم مجموعة من العتاة الذين يرتكبون جنايةً في كل مرة يصدرون فيها كتابًا. ضحك دويل باستخفافٍ وقال: «أنا معتاد على هذا النوع من الأشياء. تذكر كيف قتلتُ الناس في رواية «ذا وايت كمباني». الآن، إذا كنت ستساعدني في التخلص من الجثة، فقد يكون كلُّ شيء على ما يُرام. كما ترى، لقد علمت من هذا الساذج المُضلل نفسه أن لا أحد يعرف مكانه اليوم. وكثيرًا ما يختفي لأسابيع كل فترة، لذلك لا يُوجَد خطر كبير من أن يتمَّ اكتشافنا. هل ستساعدني؟»

صاح الرجل المُعذَّب الضمير: «أعتقد أنني يجب أن أفعل ذلك.»

تخلص دويل في الحال من التراخي الذي تسبَّب فيه مجيء شيرلوك هولمز، وتصرَّف الآن بالحيوية التي كان يتَّسِم بها. واتجه إلى المبنى الخارجي، وأحضر السيارة إلى الباب الأمامي، ثم حمل هولمز وتبعه ضيفه المُرتجف، وخرج وألقى بالجثة على المقعد الخلفي للسيارة. ثم ألقى مجرافًا ومعولًا في السيارة، وغطَّى كلَّ شيءٍ بغطاءٍ مقاوم للماء. وأشعل المصابيح، وأمر ضيفه الصامت بالجلوس بجانبه، وبدآ رحلتهما المصيرية، مُتخِذَين الطريق الذي يمر عبر المكان الذي قُتل فيه البحار، ومنطلقَين بسرعةٍ مُخيفة إلى أسفل التل الطويل باتجاه لندن.

سأل سير جورج: «لماذا تسير في هذا الاتجاه؟ ألن يكون من الأفضل الذهاب بعيدًا باتجاه الأراضي الزراعية؟»

ضحك دويل بقسوة.

«أليس لديك مكان في ويمبلدون كومون؟ لِمَ لا ندفنه في حديقتك؟»

صاح الرجل المرعوب: «يا إلهي! كيف يمكنك أن تقترح مثل هذا الشيء؟ بالحديث عن الحدائق، لماذا لم تدفنه في حديقة منزلك، فإنها ستكون أكثر أمانًا بكثيرٍ من السير بهذه السرعة؟»

قال دويل مُطمئنًا إيَّاه: «لا تخف، سنجد له قبرًا مناسبًا دون التطفُّل على أيٍّ من حدائقنا. سأكون في قلب لندن في غضون ساعتَين.»

حدَّق سير جورج برُعبٍ في الشيطان الذي يقود السيارة. من الواضح أن الرجل أصيب بالجنون؛ إلى لندن، من بين جميع الأماكن في العالم. بالتأكيد كان هذا هو المكان الوحيد الذي يجب تجنُّبه على وجه الأرض.

صاح قائلًا: «أوقف السيارة ودعْني أخرج. سأوقظ أقربَ قاضٍ وأعترِف له.»

قال دويل: «لن تفعل شيئًا من هذا القبيل. ألا ترى أنه لا يُوجَد شخص على وجه الأرض يشك في أن اثنين من المجرمين يتَّجِهان إلى لندن في حين أن الريف بأكمله أمامهما؟ ألم تقرأ قصصي؟ في اللحظة التي يرتكب فيها رجل جريمة، يحاول الابتعاد عن لندن قدْر الإمكان. لذلك يعرف كل شُرطي أن رجلين قادمين إلى لندن هما غريبان بريئان، وفقًا لشرطة سكوتلاند يارد.»

«ولكن قد يتمُّ إيقافنا بسبب القيادة السريعة، تذكر الحمولة الرهيبة التي نحملها.»

«نحن بأمانٍ على الطرُق الزراعية، وسأبطئ عندما نصِل إلى الضواحي.»

كانت الساعة تقترِب من الثالثة صباحًا عندما خرجت سيارة ضخمة من ميدان ترافالجار، واتجهت شرقًا على طول شارع ستراند. وكان الجانب الشمالي من شارع ستراند مرتفعًا، كما هو الحال عادة، وانزلقت السيارة — التي كان السائق يقودها بمهارة — متجاوزةً أكوام حواجز الرصف الخشبية، والغلايات الكبيرة القاتمة التي كانت تحمل القطران، وكل الحطام الناجم عن اضطرابات أعمال إعادة الرصف. أمام شارع ساوثهامبتون، في نفس المكان الذي رسمه بالتفصيل جورج سي هايتي على غلاف مجلة «ستراند»؛ أوقف سير آرثر كونان دويل سيارته. كان شارع ستراند مهجورًا. ألقى المِعوَل والمِجراف في مكان الحفر، وأمر رفيقه باقتضابٍ أن يختار أداته. اختار سير جورج المِعوَل، وأمسك دويل المجراف بقوة. في وقتٍ أقل تقريبًا مما يتطلبه الأمر، حُفرت حفرة مُعتبرة للغاية، ووُضعت فيها جثة المُحقِّق الخاص الشهير. بمجرد أن انتُهي من وضع آخر جرفةٍ في مكانها الصحيح، كسر الصوت الصارم لشرطيٍّ جدارَ الصمت، وجعل سير جورج يُسقِط مِعوَلَه من بين يديه المتوترتين.

«ماذا تفعلان هناك؟»

قال دويل بشكلٍ طبيعي، بوصفه شخصًا توقع كل حالةٍ طارئة: «لا بأس أيها الضابط. صديقي هنا هو المُشرف على شارع ستراند. وهو المسئول عندما يكون

هناك ترميمات بالشارع، ويتمتع الشارع بأكبر حركة سير في ... أعني أنه غالبًا ما يكون به تصليحات بشكلٍ مُتكرر أكثر من أي شارعٍ آخر في العالم. لا يُمكننا فحص العمل بشكلٍ مُرضٍ أثناء وجود حركة سير، ولذا فإننا نقوم بفحصه في الليل. أنا سكرتيره، أتولى الأعمال الكتابية، كما تعلم.»

أجاب الشرطي: «أوه، فهمت. حسنًا أيها السادة، طاب صباحكما، وعيد ميلاد مجيد.»

«أتمنَّى لك نفس الشيء أيها الشرطي. هل يمكنك فقط أن تساعدنا على الصعود؟»

ساعد ضابط الشرطة كلًّا من الرجلين للصعود إلى مستوى الطريق.

وبينما كان دويل يقود السيارة مُبتعدًا عن البقعة المشئومة قال:

«وهكذا تخلَّصْنا من هولمز المسكين في أكثر بقعةٍ ازدحامًا على وجه الأرض، حيث لن يفكر أحدٌ أبدًا في البحث عنه. ودفنَّاه دون حتى أن نضعه في صندوق عيد الميلاد. دفناه إلى الأبد في شارع ستراند.»


هنداوي